معقول . . . !

جلس « أبو شلاخ » يقص على سامعيه أخبار مغامراته وعجائب مصادفاته فقال :

الحقيقة — أيها الإخوان — أن الذى حدث لى وسيحدث أيضاً ، لم يقع لشخص سواى قط ، ولهذا أجد مشقة كبيرة فى جعل الناس تصدق أشياء لم يتفق لهم أن شاهدوها أو سمعوا بها من غيرى ، وليس فى أسفارهم المنقولة ضرايب لها ، والناس أعداء لما جهلوا .

ومن طريف ما حدث لى أننى عندما عينت حارساً على النحل السلطانى فى حدائق السلطان تفقدت أسراب النحل التى أعرفها واحدة واحدة فوجدتها تنقص نحلتين فجعلت أبحث عنهما فى الحدائق الواسعة ، وبينما كنت أبحث عنهما وقعت عينى على دبين يحاولان اختلاس العسل المخزون ولم أجد شيئاً أطردهما به غير فأس فضية صغيرة ، وهى الشارة الرسمية لكل بستانى يعمل فى حدائق السلطان ، فقذفتهما به ، ومع أننى لم أصبهما إلا أنهما فزعا وهربا ، وظلت الفأس من شدة الرمية ترتفع فى الفضاء ثم ترتفع ثم ترتفع حتى نطحت القمر وتسمرت به ، وهالنى ماصارت إليه الفأس ! فأى سلم يرتقيه الإنسان حتى يصل إلى القمر ؟ .

تذكرت أننى أحمل فى جيبى حبة فول أهدانيها أحد الزملاء ، ولعله جاء بها من بغداد أو وجدها فى بعض قبور الأولياء ، وسرعان ما بذرتها فى الأرض وأنا لا أكاد أصدق ما روى لى زميلى عن سرعة نموها وازدهارها فماذا حدث ؟ .

ما هى إلا لحظات حتى بزغت الحبة وتفتحت وقام ساقها وأورقت ، وإذا بها شجيرة كاملة ثم إذا بها تمتد وتنتشر بالفضاء وترتفع حتى التصقت بالقمر فما كان منى إلا أن تسلقتها إلى سطح هذا الكوكب .

وهنا واجهتنى مشكلة عويصة ، إذ كان من العسير على أن أبحث عن فأس فضية صغيرة ملقاة على وجه القمر .

ومع ذلك فقد تمكنت من العثور على ضالتى بعد الالحاح فى البحث والتفنن فى التنقيب .

وبقيت لدى مشكلة أخرى ، وذلك أن فروع شجرة الفول سرعان ما جفت بفعل حرارة الشمس فتساقطت وتركتنى وحيداً منبوذاً على وجه القمر ! .

وكان من حسن حظى أن وقعت الفأس على كومة من الألياف والأغصان الدقيقة التى عملت على جدلها ففتلت منها حبلا طويلا متيناً ربطت طرفه بأحد قرنى القمر وتعلقت به بيد وحملت الفأس بيد ! وكلما تدليت مسافة قطعت طرف الحبل فوق رأسى ووصلته تحتى ، وهكذا صرت أهبط شيئاً فشيئاً حتى إذا قاربت الهبوط على الأرض أصبت مع الأسف بكارثة وأنا على بعد ميلين من سطحها فجعلت أفكر بالأمر على بعض السحب .

وإذا بالحبل ينقطع فأهوى فجأة ، وبسرعة هائله على الأرض كادت تفقدنى وعيى ، وعندما ثبت إلى رشدى عرفت هول تلك السقطة ، لقد دفعت بى إلى بضع مئات من الأقدام فى جوف الأرض .

وهذه الحادثة كثيراً ما يجعلها رواة أخبارى ومغامراتى موضوعاً لأكاذيبهم ومفترياتهم ، وما حدث فعلا هو أنى عمدت إلى نحت عشرات من الدرجات فى الحجر لأخلص نفسى من هذه الهوة السحيقة .

ويرمينى بعض الناس بالغباء لأنى اتخذت أظافرى فى نحت هذه الدرجات . مع إنى أحمل فأساً فى يدى ، ولكنى لا أجد ضرورة لمناقضتهم فأخالف حقيقة الواقع الذى أنا شديد الحرص على تقريره دائما أبداً . !